نطرح هذه القضية للمناقشة

مصر أم الجمال.. لماذا أصبحت.. «صناديق».. وكتلاً خرسانية

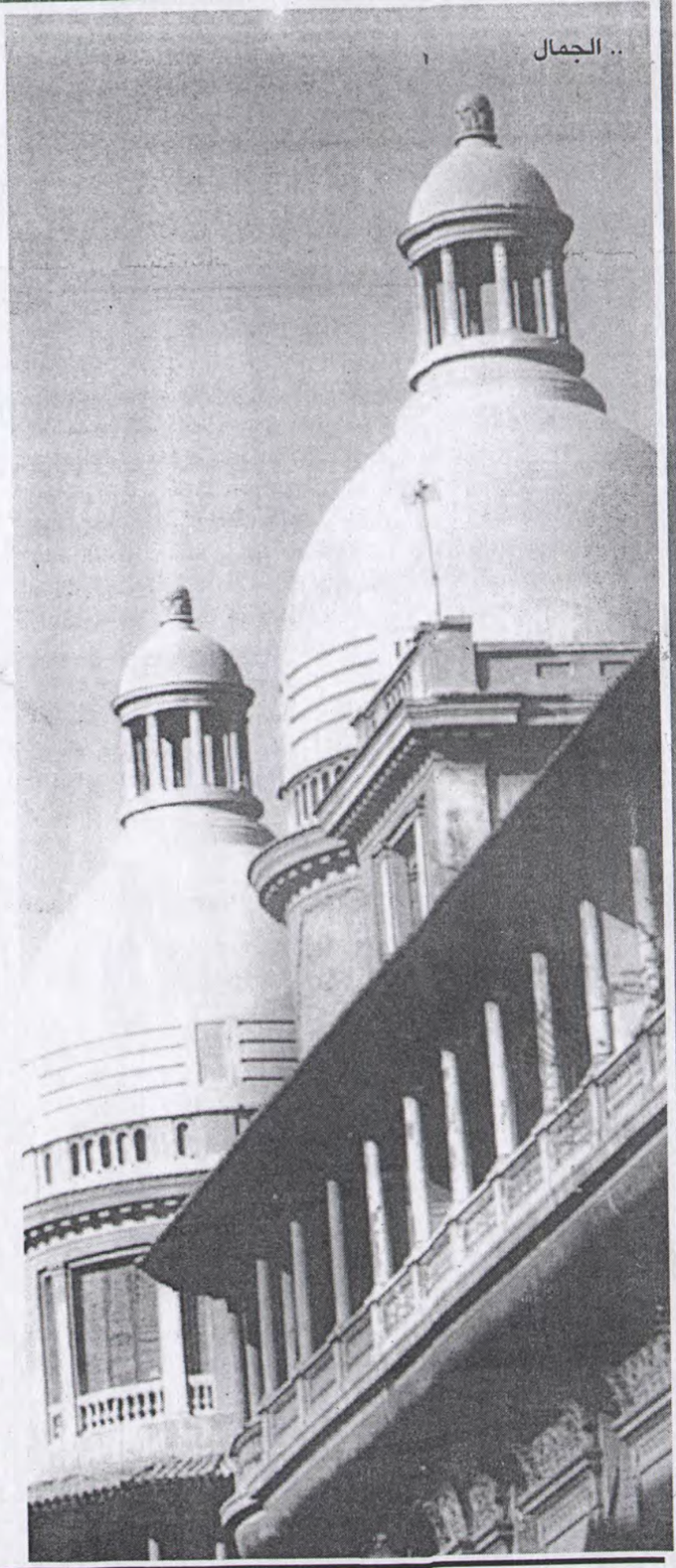
.. الجمال

في صالات قسم عمارة في كلية الهندسة حيث

تتمتع مصر عبر عصورها الطويلة بتميز العمارة منذ الفراعنة العظام وتتابع بصمات العمارة اليونانية والإغريقية والإسلامية عليها ووصولا إلى العمارة الحديثة والمعاصرة.

كان المنطقى أن يتقدم فن العمارة نتيجة لهذا كله، ولكن الواقع حاليا يقول غير ذلك .. حيث سادت الكتل الخرسانية الصماء قبيحة المنظر، وتفجر سؤال بداخلنا يبحث عن إجابة، أليس من حقنا أن ترى أعيننا مبانى جميلة؟!.

أين الخلل؟ وكيف الطريق .. إلى عالم معمارى جميل، نحلم به ونستحقه.

وكانت البداية مع د. ميلاد حنا، والذى بدأ بالقول: تتميز مصر بأنها بلد البنائين العظام، ففى كل عصر كان هناك مبنى شامخ كبير يعبر عن الحضارة ابتداء من الأهرام والمعابد والمقابر طوال حقبة الفراعنة ووصولا إلى الحقبة اليونانية الرومانية، ووصولا إلى الحقبة الإسلامية حيث توجد آثار لكل مراحله، حتى يندر أن توجد عاصمة تمتاز بهذه الرقائق من الأحقاب الإسلامية، فجامع عمرو بن العاص ثم مصر الفاطمية ومصر فى عهد المماليك، وشهد العصر الحديث نموذجا جديدا لمعمار أرسى دعائمه الفرنسيون والإيطاليون واليونانيون، بقيت شاهدة عليه مناطق وسط المدينة فى القاهرة والإسكندرية، وخلال القرن العشرين ومنذ الاستقلال ظهر معماريون نوابغ تأثروا بكل هذا التراث، فكان عثمان باشا محرم عضو الوفد المصرى ووزير الأشغال عاشقا للعمارة الفرعونية وقام بإنشاء بيته بشارع الأهرام على هذا التراث والطراز ثم أعطى توجيها بإنشاء كلية الهندسة بالإسكندرية على نفس الطراز، كذلك ونتيجة لنمو الوعى بالحضارة الفرعونية عادت الآن العمارة الفرعونية لتصبح موضة، وقام معماريون مصريون بإنشاء المحكمة الدستورية العليا كنموذج معمارى فريد من نوعه للعمارة الفرعونية مع مطلع الألفية الثالثة، والقرن الحادى والعشرين، كذلك وعلى صعيد آخر قام معماريون كثيرون بإحياء العمارة العربية الإسلامية وأنشئت قرية مارينا العلمين بطراز معمارى فريد يحمل نكهة التاريخ ولكنه معاصر.

يضيف د. ميلاد حنا: من هنا فإن لمصر، وفى إطار ما كتبت فى مؤلفى «الأعمدة السبعة للشخصية المصرية»، وتراث مصر التاريخى وموقعها الجغرافى، ما يؤهلها لأن تتبارى فى الذوق المعمارى فى تناغم يعبر عن هذه الحضارات المختلفة.

ويعرج د. ميلاد حنا على الوضع الحالى فيضيف: الذوق المعمارى الحالى ليس له نسق معين والمعماريون المصريون ينتمون لمدارس معمارية مختلفة، ومن هنا ظهر هذا الكرنفال من العمارة نتيجة لاختلاف قوانين التنظيم .. وعلى سبيل المثال كانت القاهرة فى مطلع القرن مقسمة لمناطق وأحياء لكل منها نسق معمارى محدد وعصرى، فمثلا ضاحية مصر الجديدة التى أنشأها البارون «إمبان»، وهو ثرى بلجيكى متحمس للعمارة العربية الإسلامية فأنشأ هذه المبانى والقصور الموجودة فى مدخل مصر الجديدة الآن، لها طابع خاص ونسق متناغم فى كافة مبانيها، ثم قام بتخطيط ضاحية مصر الجديدة على مراحل.

أما ضاحية المعادى التى قامت شركة إنجليزية بتخطيطها على نمط إنجليزى فى شوارع ذات انحناءات وكأنها أجزاء من هلال فجاءت وكأنها ضاحية فى لندن.

أما د. عزت صقر الأستاذ بكلية الفنون الجميلة فيرصد جملة أخرى من الأسباب التى أدت لاختفاء لمسة الجمال فى المبانى الحديثة فيقول: إذا أردنا أن نعرف الأسباب التى أدت إلى تدهور الجمال المعمارى فليس علينا أن نتوقف عند الأسباب الظاهرية والتى منها على سبيل المثال العوامل الاقتصادية بزعم أنها أثرت على أصحاب المبنى، وبالتالى فهم يحاولون أن يقتصد فى تكلفة البناء، ولكنى أرد على ذلك بأن الحالة الاقتصادية لم تكن قبل ذلك أفضل بكثير من الآن.

أعتقد أن الأسباب أعمق من ذلك حيث إنها تتعلق بمنظومة المجتمع بصفة عامة، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكلفه بعمارة الأرض، ولكى يقوم الإنسان بهذا الدور يجب أن يتوافر له ما يسمى «حيز الفراغ»، وهو الحيز الذى يسمح له بالخلق والإبداع والابتكار وعلى ذلك فإن التكدس السكانى وليس الزيادة السكانية هو سبب هذه الظاهرة، وأرى أن هذا التكدس راجع إلى تركز كل الوزارات والمصالح الحكومية فى القاهرة وبالتالى تركيز وجود القرار السياسى بها مما يؤدى إلى تفضيل الأفراد لها سواء فى السكن أو إقامة المشروعات.

الصناديق الخرسانية!!

كذلك هناك عامل آخر وهو الهجرة من الريف إلى القاهرة، ورغم أنها كانت موجودة من قبل، إلا أنها تغيرت من حيث نوعيتها.

ويضيف د. عزت صقر: ثالث هذه الأسباب هو القوانين والنظم التى إذا وضعت لمصلحة طبقة على أخرى فإن المجتمع ينهار، لأن القوانين إنما توضع لاستقرار واستمرار المجتمع، وبالتالى فهى تقوم على العدالة بين جميع طبقات المجتمع، وهذا ما يحقق الحضارة.

ولكننا إذا نظرنا إلى قوانيننا نجدها تناصر طبقة على أخرى سواء ناصرت المالك أو المستأجر، فإنها تحدث خللا يؤدى لضياع الفواصل بين الحقوق والواجبات مما ينعكس بالضرورة على الثروة العقارية التى نملكها، والتى تضيع بين المالك الذى يجد نفسه غير مستفيد منها، ولذا فليس عليه صيانتها، الساكن الذى يعتقد أن واجبه ينحصر فى أن يدفع الإيجار الشهرى فقط، وبالتالى فليس عليه أن يقوم بصيانتها.

ويرى د. عزت: أن الإحساس بالجمال يقل حاليا وذلك نتيجة النظام حيث إنهارت قيم الجمال والثقافة وغيرها أمام قيم الفهلوة .. وما نحن فيه الآن تعبير عن المستوى الحضارى الذى نعيشه، وهو ابن النظم التى نعيشها، ولذلك نجد المشترى انحط ثقافيا، وبالتالى فإن المهندس لن يبنى عمارة ذات شكل جميل، لأن المالك لن يستطيع تسويقها، وأرى أن حل تلك المشكلة يكون فى تلافى الأسباب السابقة بالإضافة لتوفير «الحيز الحيوى» لكل إنسان ليستطيع أن يتحضر ويبتكر، فكيف له ذلك وهو مطحون «فراغيا»؟!.

ويتناول د. محمد عبدالباقى أستاذ مساعد التخطيط العمرانى - هندسة عين شمس الأسباب السابقة بالتفصيل فيقول: إن قوانين البناء تحتم علينا أوضاعا عمرانية محددة يصعب معها ايجاد التشكيلات المطلوبة حسب رؤية المعمارى، فنجد أن القانون مثلا ينص على ضرورة وجود ردود فى الأرض من جميع الاتجاهات مما يؤدى إلى إنشاء عمارات صندوقية، واختفى النسيج المتضامن والمتداخل والذى تميزت به القاهرة فى العصور الماضية، والعمارات التراثية نرى فيها جماليات وفراغات داخلية ومعالجات مناخية يصعب ايجادها الآن بفضل القوانين التى تنص - أيضا - على أن يكون نصف واجهات المبنى أبراجا والنصف الآخر بلكونات دون مراعاة توجيه المبنى، فالواجهات الشمالية يفضل فيها اتساع الفتحات أما الجنوبية فيفضل فيها قلة الفتحات .. فى حين يتجاهل قانون الإسكان ذلك.

ويؤكد د. محمد عبد الباقى: أن شمولية قوانين الإسكان والبناء والتخطيط العمرانى بمعنى تطبيقها على كل الأماكن دون مراعاة للأوضاع البيئية والظروف المناخية ومواد البناء المحلية المتوافقة مع البيئة والطابع العمرانى والمعمارى للمنطق المختلفة، حيث إن لكل منطقة طابعها الخاص وبالتالى يجب أن يكون لها قوانينها الخاصة بها.

أما السبب الثانى فيراه د. محمد عبد الباقى يتمثل فى عدم مساهمة التعليم والإعلام بشكل كاف فى الارتقاء بالذوق العام، فالتعليم المدرسى والجامعى يفتقد إلى إثراء الحس الفكرى والجمالى لدى الطلاب، لأن هناك تركيزا على المواد العلمية مع قصور فى النواحى الجمالية والفنية.

من ناحية أخرى فإن الإعلام يفتقد أيضا إلى البرامج المتخصصة فى العمارة.

وأؤكد على الدور القوى والمؤثر للإعلام على عامة الشعب والذى يجب أن يكون أكثر فعالية عن طريق برامج مبسطة نرتقى من خلالها بالحس الجمالى لدى المواطنين مما يؤدى إلى التأثير عليهم عند بناء المبانى فيفضلون التصميمات الجميلة ذات الطابع الفنى دون الكتل الخرسانية الصماء التى انتشرت هذه الأيام.

ويختتم الدكتور ميلاد حنا النقاش بطرحه على المستوى الملموس فيقول: فى العصر الحديث تم تخطيط مدينة الأوقاف وأعطيت أسماء الدول العربية يتوسطها شارع واسع هو جامعة الدول العربية، وقد وضعت لهذه المدينة أول الأمر قواعد راسخة ثابتة فى ترك الفراغات والحدائق حول المبانى، وحددوا ارتفاعات قليلة، ثم تعاقبت عليها إدارات مختلفة وفق نظام الحكم المحلى، وكان كل محافظ يصدر ما يشاء من قرارات، مما أتاح الفرصة للعشوائية.

السيد عبد الفتاح

أما الفراغات من الداخل فهى فراغات مستوية